الحاكمية الدينية
النشوء - الارتقاء - النهاية

Religious sovereignty: emergence, evolution, and end

ا.م.د. علي عبد المحسن كريم البغدادي
كلية الامام الكاظم(ع) للعلوم الإسلامية الجامعة

Dr. Ali Abdul Mohsen Karim Al-Baghdadi
Imam Al-Kadhim (AS) College of Islamic Sciences University
ali.baghdadi@iku.edu.iq

تاريخ إستلام البحث: 2026/1/17	تاريخ القبول: 2026/1/24	تاريخ النشر: 2026/1/1
Published: 1 / 1 / 2026	Accepted: 24 / 1 / 2026	Recevied: 17/ 1 / 2026

الملخص العربي:

في خضم الصراع المتزايد في منطقتنا, تبرز ضرورة تسليط الضوء على اهم أيديولوجيا تتحكم فيها, إلا وهي الحاكمية الدينية, فدراستنا هذه تتناول نشوء هذه الحاكمية , وصعودها ونهايتها الوشيكة, ضمن فضاء معرفي , يتسم بالكثير من الحيادية والتجرد, بغية الوقوف على اساسيات هذه النظرية, التي شكلت وجه العالم الاسلامي لقرون ولا تزال, ضمن مقولات الخلافة والملك والولاية, لقد ناقش الباحث احفوريات تشكل هذه الحاكمية, وطرق صعودها وتكونها, وتموضعاتها, بصورة ارجو ان لا تكون مخلة في منهجية الدراسة, ونوقش ايضا المرويات والنصوص والاقوال الخاصة بهذه النظرية, ليعطي الباحث فرضية في نهاية الدراسة عن البديل لهذه النظرية, ضمن فضاء التأني في صناعة المجتمع الجديد, وبناء افق التخلص من الايديولوجيات التي حكمت البشرية لقرون طولية.

الكلمات المفتاحية باللغة العربية:

الحاكمية الدينية ,المؤسسة الدينية, احفوريات, الحكم, السلطة, الخلافة, الولاية, المجتمع, السياسة.

English summary….
«In the wake of intensifying regional conflicts, it becomes crucial to scrutinize the dominant ideology at play: Religious Sovereignty (Al-Hakimiyya). This study investigates the genesis, ascendancy, and projected demise of this sovereignty. It operates within a conceptual space defined by impartiality and analytical detachment, seeking to uncover the structural foundations of a theory that has defined the Islamic world for centuries through the constructs of the Caliphate, Kingship, and Guardianship (Wilayah).
Suggested Keywords.
Religious Sovereignty .Institutional Religion. Archaeology. Governance Society. Politics. .Authority .The Caliphate. Guardianship .Guardianship.

المقدمة..

تشكل هذه الدراسة تكملة لما بدأناه قبل سنوات طويلة من البحث العلمي والاكاديمي والذي توج بالعديد من البحوث والدراسات, في الفلسفة السياسية وبحوث التعددية والاستقطاب ونقد حاكمية الدين.. الخ... , فهذه الدراسة جاءت كما أسلفنا استكمالا لمشروعي العلمي الذي يقوم على ثلاثة أسس:-

الأول:- التّنظير لشكل الدولة الناجحة في العراق من خلال اختيار النظام السياسي الأنجح والأنجع.وهو ماتم تأسيسه من خلال ثلاثة بحوث تحمل عنوانا عاما هو(نحو جمهورية رشيدة, القسم الأول التقييم , القسم الثاني التقويم, القسم الثالث الإدارة كبديل موضوعي للسلطة) وقد تم نشرهم سالفا. وبحث سبقهما هو الإسلام السياسي ومخرجات تأسيس الدولة – ولاية الفقيه وصلاحية تأسيس الدولة أنموذجا.

الثاني:- التنّظير للعَلمانية بوصفها نظرية سياسية صرفة تفصل بين العقيدة الدينية كوصف ومادة للحاكمية, وبين النظام السياسي والفلسفة السياسية والاجتماعية التي يختارها شعب ما كنمط لحياته, وقد اخترت الشعب العراقي كأنموذج, وقد تم التأسيس له بكتابين تم نشرهما سالفا هما(مقاربات في الاسس الفلسفية لنظرية الدولة دراسة مقارنة ومقاربة, قراءات نقدية في فلسفة الدولة ,الدين , المجتمع). وأيضا من خلال أطروحتي التي حولتها لكتاب والموسومة (صورة الإسلام المعتدل (الليبرالي) في الفكر السياسي الاستراتيجي الأمريكي المعاصر).

الثالث:- البحث في المسكوت عنه لإعادة توجيه بوصلة المعرفة لدى المجتمع بصورة عامة, وهو من محاور هذه الدراسة بكل مفاصلها, وقد سبقها بحث عن التعددية الدينية وأثرها في سلوكيات المجتمع, ضمن كتاب صدر عام ٢٠١١ يحمل عنوان (قراءات في فلسفة الدولة , الدين , المجتمع) وأيضا مباحث ضمن

كتاب جماعي عن الإرهاب حمل البحث اسم, (الارهاب دراسة في المنهج المعرفي وتفكيك البنية المعرفية),وكما قلنا ضمن كتاب جماعي (الارهاب محاولة أخرى لتشريح الظاهرة) ضمن سلسلة علمية لدراسة الظاهرة الإرهابية التي حملت أسم الاسلام. (باحثين، ٢٠١٧).

ومن ثالثا أعلاه تنطلق هذه الدراسة, لقد شكلت حاكمية الدين على مدى العصور هاجسا وجوديا ومشكلة كبرى في الحكم والمجتمع والسياسة, لما تشكل مفرداته وأدبياته من إطار مقدس يحمي كل من يعمل فيه وينطلق منه, لذا ستركز هذه الدراسة على الحاكمية أي حاكمية الدين, ليس بوصفها تنظّيرا للحكم فقط؟, وإنما بوصفها سمة شاملة لكل مجالات الحياة, وافترض أنه من الاسباب الرئيسية لنشوب النزاع والصراع بين اتباع الاديان بصورة عامة, «وهو ما ستحاول ان تثبته هذه الدراسة», فتحويل النزاع الذي جرى في صدر الإسلام «كنمذجة» وفرضيتي المبدئية أنه نزاع سياسي صرف, تحول أو تم تحويله فيما بعد إلى نزاع عقائدي, أثر بشكل كبير في علاقة المسلمين ببعضهم البعض, وجرت بحور من الدماء فيما بينهم لهذا السبب الرئيسي, كما أن تأثير السلطة على المجتمع بصورة عامة, من خلال رسم سياسة الشيطنة للآخر, شكل إزاحة وجودية, أنتجت مفاهيم مشوهة عن الأديان, بوصفها وجود قيمي اجتماعي, كما رتبت اثارا وخيمة على مستقبل العلاقة بين اتباع الاديان وغيرهم, وما مقولات الارهاب الاسلامي (الاسلاموفوبيا) إلا نتائج واثار لما آلت إليه العلاقة بين المسلمين وغيرهم, فبسبب تعدد القراءات في الدين الواحد, وشيطنة هذه القراءات لبعضها البعض, كما في الارثوذوكسية والكاثوليكية المسيحية, وبينهم وبين البروتستانت فيما بعد, وبين مذهب المعتزلة الذي بدأ علميا, ليتحول لمذهب سلطوي في عصر المأمون العباسي, ومذاهب المحدثين وأبرزها مذهب أحمد بن حنبل, أيضا النزاع بينهم وبين الشيعة بمختلف مذاهبهم , كنمذجة أخرى لتعدد القراءات التي أفضت إلى الصراع, فرغم أن الاختلاف سمة إيجابية عادة, إلا أننا نلاحظ أن النزاع الديني بصورة رئيسية أسس لمفاهيم الصراع الإيديولوجي القديم والحديث والمعاصر أيضا , وبرزت الشيطنة أيضا في فروع الفلسفة السياسية ونظرياتها للحكم, ومن هذه الحيثيات المسكوت عنها وغيرها, سوف ننطلق لتأسيس مشكلة الدراسة وأهميتها وفرضياتها الرئيسية....

أولا:- مشكلة الدراسة:- تتمحور مشكلة الدراسة في تحديد ما يلي:-

١-تحديد نشوء وارتقاء حاكمية الدين وبداية تشكلها , ومن ثم نهاية هذه الحاكمية مع نهاية عصر الدين المؤسسي وبداية عصر العلم .

٢-كيف تحولت مسألة النزاع على خلافة الملوك اولا والأنبياء ثانيا من نزاع سياسي وعشائري بل وعائلي في بعض الاحيان, إلى نزاع عقائدي , وبوصف الدين المؤسسي , مؤطر للحاكمية الدينية بصورة عامة, وإطارا شرعيا لكل ممارساتها في الحكم والدولة والمجتمع والاقتصاد, بل والعقيدة والتاريخ أيضا , فتعقيد الدين وتحويله إلى غنوصيات وهو دين واضح المعالم, وتشكل قراءات متعددة الوجوه , شكل وما يزال عقبة كؤود أمام فهم الدين الحقيقي الذي جاء مع دعوات الانبياء ونبوءاتهم الغيبية ,على الأقل للباحثين وللمؤمنين بالأديان , فالقراءات المتاحة للدين تحتكر الحقانية في قراءة واحدة, وتحاكم القراءات الأخرى بوصفها قراءات منحرفة وضالة , شكلت وما تزال عامل الجذب الأول لكل سلطة ,

٣-احتكار الحقانية ليس جديدا في الفكر والمعرفة ,وليس المسلمون أول من استخدمه, بل هو حقيقة راسخة مع سيرورة البشر, وصيرورته, وبداية تشكل الدين عندهم إلى يومنا هذا وسيستمر, إذ بات احتكار الحقانية يشكل وجهة التدين الصحيح لدى اتباع هذا الدين أو ذلك بمختلف مذاهبه, وتشكل أيضا إزاحة وجودية للآخر المشترك في العقيدة الرئيسية وهي عقيدة التوحيد في فرضية الاديان التوحيدية ,والحق الإلهي في الحكم في فرضية الاديان التعددية (الوثنية),والتي انتقلت أي الحق الالهي بالحكم فيما بعد إلى الديانات التوحيدية, ومن ضمن هذا الاحتكار نشأت المشاكل الوجودية . ([1]) .

٤-شكل الصراع الآن وجها أخر للدين وبالتأكيد فأن بطله حاكمية الدين النابعة من القراءات التي شكلت المؤسسات الدينية بصورة عامة , وليس الدين بوصفه القيمي والحضاري والإنساني. (هنتنغتون، ١٩٩٩), فقد شكلت سردية الفرقة الناجية في الإسلام مثلا, أساسا لهذا الاحتكار في الفكر الإسلامي بصورة عامة, لما اعطته من زخم شرعي لتأصيل الإزاحة الوجودية أتجاه الأخر سواء أكان مسلما أو غير مسلم. ([2]). (الاسفرائيني، ٢٠١٠). (الشهرستاني ا.، ١٩٧٢)..

٥-سنتناول طرف الحديث عنها داخل هذه الدراسة. إضافة إلى ذلك سوف تقوم الدراسة بتحديد وتحليل المسكوت عنه في تاريخ النزاع الديني بين اتباع الدين والانبياء وبين الأخر , في تصور مرحلي يشكل عمقا لفهم المشكلة الرئيسية التي تحيق بعالمنا, والتي نفترض بأنها واحدة من عوامل التخلف الذي يعيشه العالم المؤمن بالحاكمية الدينية كحل لكل شيء, فتحويل التاريخ إلى عقيدة وتحويل النزاع السياسي إلى عقيدة ,بل تحويل كل مفاصل الحياة إلى واقع التمظهرات الدينية الغيبية ,هو من أخطر ما يواجه التجمعات

البشرية الآن, وهو ما مسكوت عنه بصورة كبيرة رغم توافر النصوص التي تثبت أن النزاع اساسه سياسي ومادي وليس عقدي, وهو ما ستحاول أن تثبته هذه الدراسة أيضا.

ثانيا:- فرضيات الدراسة:- نفترض في هذه الدراسة التالي وهي الأسئلة التي ستجيب عنها هذه الدراسة من خلال البحث الموضوعي المتجرد عن أي خلفية مرجعية:-

أ-أن نشوء الحاكمية الدينية أو حاكمية الدين, كان قبل نشوء الإسلام السياسي والذي نشاء منذ سقيفة بني ساعدة, بينما كانت ارهاصاته قبل وفاة النبي محمد ,لأن الحاكمية ظهرت بصورة جلية مع تنصر(التحول من الوثنية إلى المسيحية) الإمبراطورية الرومانية, واطلاق يد البابا (رأس الكنسية في الدين المسيحي) في الحكم, بوصفه خليفة عن المسيح النبي عيسى, وهو ما كان بعد حياته وليس في اثنائها ,وهذه فرضية الخلافة أو النيابة عن الأنبياء ,وافترض قدمها على هذا التاريخ وهو ما سنحاول تقديمه في هذه الدراسة, بصورة الحق الإلهي في الحكم, والذي يشكل الدين العامل الرئيسي فيه ,فبينما نشا الخلاف في حياة النبي محمد على الحكم, نشأ الخلاف قبل النبوات على أحقية الحاكم باسم الالهة, أو نظرية الحق الإلهي في الحكم !؟,وعليه فأن الخلاف أنما يعود في جذوره إلى محاولة الهيمنة على تراث الأنبياء, والذي بدأ بالتوسع أثناء حياتهم أو في أخرها ,اي أن الخلاف بحسب فرضيات هذه الدراسة هو سياسي وليس عقائدي, كما صور له أو كما تم الإيحاء به من خلال المؤسسات الدينية.

ب-أن الحاكمية الدينية في محتواها هي إطار للحكم , ألبس ثوب القداسة من خلال تسمية من يقوم بمهام النبي باسم الخليفة, وهو اسم عام لكل من يخلف نبي وليس فقط النبي محمد, مما يضفي نوع من الهيمنة السلطوية على مقاليد ما تركه هذا النبي أو ذاك, وهو ما تم من خلال توسيع وفرض الهيمنة الخلافوية على الحضارات القريبة والبعيدة, مما يشكل أساسا موضوعيا لذات الخلاف على الحكم بعد وفاة النبي. وأيضا ينسحب الامر لمن يحكم باسم الحق الالهي, فكلا الأمرين ينبعان من السلطة السياسية والنفوذ والتي يوفرها هذا المنصب السامي.

ج-تشكل مقولات الحاكمية الدينية كإطار شرعي للحكم واضفاء طابع الشمولية عليه, بينما هو في محتواه حكم ملكي أو قبائلي صرف, كما في دولتي بني أمية وبني العباس كنمذجة, ومن تبعها من الدول التي تزيت بهذه الحاكمية وتسمت باسم الخلافة للهيمنة والحكم.

ثالثا:- أهمية الدراسة:- أدعي هنا أن هذه الدراسة ستقدم اضافة موضوعية جديدة, فهي تبحث ضمن السرديات التاريخية والفلسفية والنصوص الدينية لتقدم دراسة تحليلية مشوبة بروح المقارنة , لتضع أمام الباحثين أساسيات في أغلب ما سكت عنه عبر التاريخ, من نزاع على السلطة تارة بتبرير الحق الإلهي في الحكم, واخرى بإطار الخلافة والنيابة , ولتقدم ايضا قراءة موضوعية إلى حدا ما, حول أهمية الدين في الحياة ومدى الحاجة إليه اجتماعيا وقيميا , والتأسيس لحاكمية العقل والإنسان العاقل بدل اراء المؤسسة الدينية ومخرجاتها, والتي أدعي أنها بنيت على أساس السلطة والهيمنة , لا على أساس العقيدة والمبدأ والقيمة.

رابعا:- الهدف من الدراسة:- نهدف إلى تمييز الدين بوصفه وجود قيمي وتعبدي, عن القراءات المتعددة له, سيما في عصر العلم هذا, وايضا فصل القراءات المتعددة ونزع القداسة عنها بوصفها انتاج بشري غير معصوم, وليس أولها الإسلام المتعدد بتعدد قراءاته, والذي شكل منذ نشؤه وارتقائه قاعدة للتعددية المذهبية القائمة على اساس الانحياز لطرف في مقابل الطرف الاخر, هذا الانحياز شكل إزاحة وجودية لهذا الأخر المتعايش ضمن فضاء هذا الدين. وايضا تهدف الدراسة إلى تفكيك المنظومة الفلسفية السياسية للنظم المتشكلة بناء على حاكمية الدين بصورة الحق الإلهي وحاكمية الدين بصورة الخلافة والنيابة عن الانبياء.؟! بالإضافة إلى تشكلات الحياة داخل المجتمعات التي تخضع للحاكمية الغيبية, بوصفها عامل شمولي لكل انماط الحياة البشرية, بل حتى غيرها فيما يتعلق بالحيوان والجماد. الخ.....

خامسا:-اسئلة الدراسة:- وهي مجموعة الأسئلة التي يحاول البحث الإجابة عنها وأهمها.

أ-هل تشكلت حاكمية الدين منذ بواكير معرفة الانسان للدين واختراعه له ليدفع الخوف من المجهول؟, أي منذ بداية بواكير وضع قواعده واسسه وتشريعاته وطقوسه واساطيره. الخ..,؟ أو تشكلت بعد ظهور الديانات التوحيدية المكتوبة (الديانات الإبراهيمية الثلاثة), أي ما بعد عصر النبي إبراهيم وصولا إلى النبي محمد؟

ب-هل النزاع والخلاف على من يخلف النبي أو الرسول هو نزاع عقدي, بمعنى أن هناك أتباع لهذا النبي أو الرسول يريدون ان يحافظوا على الدين لحين مجيء النبي أو الرسول الجديد ,ويتم تسليمه والاعتراف بنبوته؟! او هو نزاع سلطوي على من يتسنم هذا المنصب السامي, وما يعطيه من قداسة وسلطة مطلقة؟

ج- بالنسبة للحاكمية الدينية بصورتها الإسلامية, هل تبلورت حاكمية الدين وظهرت بقوة قبل بعثة النبي محمد ,؟ ام اكتملت مع ظهور الاسلام في شبه جزيرة العرب بحيث تكاملت مع ظهوره وتبلورت قواعد الحاكمية بصورتها التي نراها الآن, والتي نسميها بالإسلام السياسي بشقيه الخلافوي والولايتي؟. ([٣])

د-ما علاقة الوحي بترسيخ مبدأ الحق الإلهي في الحكم قبل ظهور النبوات وما علاقته بها فيما بعد؟! وبمعنى أقرب, ماذا شكل النص الاسطوري من عمق لترسيخ الحق الإلهي في الحكم, وهو بحسب الادعاء تنزيل من الإلهة , ونفس الأمر بالنسبة للوحي بوصفه مصدر للنص السماوي.؟!

ه-ما البديل الموضوعي للحاكمية الدينية أو حكم الدين في عصرنا هذا؟ هل العقلانية هي الحل,؟ بمعنى ما ينتجه العقل البشري ويطوره بحسب الحاجة هو الحل الأمثل ؟.أو يكمن الحل الأمثل في إعادة قراءة الأديان بوصفها تشكل التراث الإنساني للكتل البشرية التي تشغل الارض الآن,؟ وماهي إمكانية إعادة القراءة هذه وكيف سوف تظهر القراءة الجديدة للتراث الديني ,وبأي شقيه الوحياني أو التراثي البشري؟ أو الأثنين معا.

سادسا:- منهجية الدراسة:- نظرا لتشعب فرضيات وأسئلة الدراسة فمن الطبيعي أن يحتاج الباحث إلى عدة مناهج لغرض الوصول إلى الأجوبة وبناء النظريات ,وهو أمر مطرد وطبيعي في الدراسات الإنسانية ذات الطابع المتشعب, لذا سيتم الاعتماد على المناهج الآتية:-

أ-المنهج الاسترادادي التاريخي.

ب-المنهج الوصفي.

ج-المنهج التحليلي.

د-المنهج النقدي.

ه-المنهج الاستنباطي.

و-المنهج الاستقرائي.

وربما تظهر الحاجة إلى استخدام مناهج أخرى بحسب ما توصلنا له الدراسة والبحث العلمي.

سابعا:- الدراسات السابقة:- سبقني الكثير من الأساتذة والعلماء في مجال هذه الدراسة وكل واحد منهم قدم رؤيته ومنهجيته وهنا ادعي استكمال المسيرة واضافة نوعية جديدة في هذه الموضوعة, ومن اهم الدراسات التي سبقت هي الاتية:-

١-الحاكمية:- محمد أبو القاسم حاج حمد, نشر دار الساقي , بيروت – لبنان.

٢-الخلافة :- محمد رشيد رضا, نشر مؤسسة هنداوي , مصر – القاهرة – ٢٠١٢.

٣-الحكومة الإسلامية :- روح الله الخميني, نشر مؤسسة تراث الامام الخميني, طهران

- ايران.
٤-الدين والسلطة - قراءة معاصرة للحاكمية:- محمد شحرور , نشر دار الساقي, ٢٠١٤, بيروت - لبنان.
وهناك العشرات ان لم يكن المئات من الدراسات ولكن اكتفينا بهذا القدر, كاختصار وبه الكفاية.

ثامنا:- محتويات الدراسة:-

١-المبحث الأول:- احفوريات في نشوء حاكمية الدين.
أ-المطلب الأول:- الانتقال من المجهول إلى المعلوم.. سياق معرفي لفهم اوليات الحاكمية الدينية..
أولا:- تقديس الاله.. بواكير التقديس الأولى للقوى المجهولة قوى السماء.
ثانيا:- من الاله إلى الانسان.. انتقال فضاء التقديس من السماء الى الأرض.. وبداية حاكمية الدين.
ب-المطلب الثاني:- نشوء الدولة الدينية وبداية هيمنة المؤسسة الدينية..
٢-المبحث الثاني:- الحاكمية الدينية الارتقاء والنهاية - حاكمية الاله أم حاكمية الانسان.
أ-المطلب الأول:- هل أسس الأنبياء دولا وممالك دينية؟
أولا:- دولة المدينة - يثرب.
ثانيا:- دول ما بعد وفاة النبي محمد.
ب-المطلب الثاني:- نهاية حاكمية الدين بوصفه نظاما مؤسسيا, لا بوصف الدين قيمة عليا.
أولا:- عدم تجديد الخطاب المؤسسي والاكتفاء بالسرديات التاريخية كمتحول عقائدي لرمزيات عادية.
ثانيا:- سلطة النص ومركزيته :- يدور مفهوم ومقولات الحاكمية الدينية حول النص وجودا وعدما.

المبحث الأول

احفوريات في نشوء حاكمية الدين

خصص هذا المبحث لدراسة التطور الفكري والمعرفي لدى الانسان, وانتقاله وتحولاته من تقديس الظواهر وعبادتها, إلى صناعة الرموز السماوية وتقديسها, وصولا إلى تقديس الإنسان وصناعة الارباب الأرضية المتصلة بالسماء, كظاهر النبي عيسى بن مريم كنموذج للتحولات, وكاختيار شعب بني إسرائيل وتفضيله على الأخرين, مما يشعرك بصناعة آلهة وأرباب أرضية, لا علاقة للسماء بها لا من قريب ولا من بعيد , هذه التمظهرات والانتقالات شكلت الأديان الأرضية بشكلها المتداول اليوم, بعد رحيل مؤسسي الأديان السماوية عن الحياة الدنيا, لتتخذ المؤسسة الدينية صفة التمثيل عنهم والنطق باسمهم إلى يومنا هذا.

المطلب الأول:- الانتقال من المجهول إلى المعلوم.. سياق معرفي لفهم اوليات الحاكمية الدينية.

أولا- تقديس الاله.. بواكير التقديس الأولى للقوى المجهولة قوى السماء :-

ليس هذا العنوان بداية لدراسة منطقية, بمعنى من فروع ومفردات علم المنطق كما قد يظن البعض, بل هو عنوان لبحث الإنسان العاقل عن أسباب وجوده وأسباب الوجود ككل,؟ من أين أتينا ولماذا وجدنا وما هذا الوجود الواسع حولنا (الكون) ومن أوجده وما هذه الظواهر التي تحدث؟؟ ربما تعتبر اغلب هذه الاسئلة بديهية الآن, سيما مع تطور الفيزياء وعلوم الفلك والجيولوجيا الخ ..لكنها شكلت سابقا أسئلة وجودية مهمة تحتاج إلى أجوبة ,وبطفولة العقل البشري أمام هذه المجاهيل, من الطبيعي سيكون الجواب مناسبا لهذه الطفولة, ربما يكون الجواب أن هذه قوى أكبر من قوتنا نحن بنوا البشر, ولأنها مؤثرة فلابد من تجنبها ,أو على الأقل الخوف منها, هذا الجواب الافتراضي شكل أول هروب من المجهول والذي يشكل قلقا وهاجسا لدى الإنسان, فالإنسان عدو ما يجهل ,هذا الهروب باتجاه مجهول أخر لا يقل خطرا عن المجهول الذي أدى لهذه الاجابة؟! فلا يزال الانسان يجهل ماهية هذه القوى وكيف يتواصل معها؟!

لا نستطيع على وجه الدقة أن نقول متى بدأ الإنسان العاقل الأول التفكير في الدين كوسيلة لتفسير الوجود ككل؟ وأن إرجعها الباحثون إلى ظهور اللغة الأولى للتفاهم بين البشر بمختلف انواعهم. (هراري، العاقل، ٢٠١٤).لكنها بكل الاحوال لا تقل عن ٧٠٠٠٠إلى ١٠٠٠٠٠ عام,(سبعون إلى مائة ألف عام). أي منذ بواكير التفكير الأول, أن لم يكن أقدم من هذا التاريخ سيما إذا عرفنا أن هناك أنواع من الإنسان متفاوت في قوة العقل, أي ليس نوعنا نحن فقط من كان يستعمر الأرض؟.. (هراري، العاقل، ٢٠١٤)... يذهب الدكتور خزعل الماجدي في كتابه (أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ).. أن الشامان كشخصية دينية (ظهر في هذا العصر – أي عصر الدين الاولي او البدائي- كشخصية دينية ارتبطت به الطقوس وميثولوجيات كثيرة, ومن الممكن انه كان يقود عمليات الدفن الشعائري, وقد يأتي هذا كله ليس بسبب التقمص السحري للشامان, بل بسبب القوى البراسايكولوجية التي يمتلكها رجال كانوا المؤهلين لان يكونوا شامان عصورهم, ولذلك لا نستبعد أن يكون مثل هؤلاء الرجال قد تمثلوا القوى الخارقة واستعملوها باتجاهين ,مؤذ, ونافع, ... الخ.) (الماجدي خ.، اديان ومعتقدات ماقبل التاريخ، ١٩٩٧). ومن تحليل هذا النص نجد أن تطور

شخصية الكاهن وارتباطه بالمقدس الوثني وفي المستقبل الوحياني, يأتي ضمن سلسلة التأثير السيكولوجي للمؤسسة الدينية ورجالها على الناس, فالتطور لم يشمل فقط الطقس الشعائري وربط (الشامان) بالمقدس, بل تطور ليصل إلى فرض الدين على الناس بوصفه ممثلا للآلهة وفيما بعد للسماء؟! ونرى التأثير واضحا في الروايات التي نسبت إلى الأنبياء عموما وإلى النبي محمد خصوصا, وما عرف في علم الحديث في الإسلام بالإسرائيليات, يذكر وليد فكري في كتابه اساطير مقدسة, كيف تحولت الاساطير الى مقدسات (لهذا لم يكتف بعضهم بما كان الرسول محمد يفسره لهم, وبحثوا في كتب السابقين – بالذات اليهود عن تفاصيل شافية؟!!.. وتصاعد الشغف بالمعرفة عندما أسلم احد ابرز احبار اليهود , كعب الاحبار في عهد الخليفة عمر بن الخطاب, وصار يحدث بما في التوراة وشروحها وكتب علماء دينه السابقين... الخ) (فكري، ٢٠١٨).. تكشف هذه النصوص عن تأثير الأديان في بعضها بصورة تصاعدية وهو ما ادركه النبي محمد وأشار اليه في القرآن الكريم بعدة آيات, كاعتراف منه بالأنبياء ودياناتهم وكتبهم كجزء من شمولية الدين بصورة عامة والدين الإسلامي بصورة خاصة, مثل أية ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [**البقرة: ١٣٦**].. فإعطاء الشرعية للآخرين هو بالضرورة وبحسب الفهم الاولي مؤدي الى شرعية هذا الدين والعكس صحيح أيضا؟!! لكن للكهنة ومؤسساتهم رأي أخر, يرى الباحث أن الأديان كلها والدين الإسلامي بصورة خاصة جاء لهدم المؤسسة الدينية وكهنتها, كما في الآية . (**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)(٣١) التوبة.** وقوله أيضا في معرض نسفه للوساطة بين الله وبين مخلوقاته بحسب الفرض الديني . **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)غافر.. وقوله .. وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦). ق.**

هذه التأكيدات على رفض الوساطة لم تلقى بالا لدى المؤسسة الدينية وكهنتها. وبالعودة إلى التقديس الأولي الذي بدأ به الانسان, نلاحظ أن الوثن بغض النظر عن ماهيته كان هو الأساس في تكوين المعتقدات الأولى, فلم يصل الإنسان بعد إلى تقديس ذاته وتقديس الاخر الذي يرى أن لديه امتياز عن سائر الناس, فالالتصاق

والتماهي بالوثن كان من مهام الشامان, الذي يمثل الرابط بين المجموعة المؤمنة وبين الوثن, في موسوعة الأديان ينقل فراس السواح عن (john B. noos) هذه النصوص المهمة (سيجد الزائر لأية جماعة بدائية أن القداسة هي السمة الأولى للدلالة الدينية لأي مكان أو شخص أو شيء أو حدث, وهم ينظرون إلى كل ما هو مقدس نظرة تجمع بين الاحترام والحذر في آن معا.... ثم يقول.. في حضرة المقدس هنالك إحساس بقلق من نوع ما .فهل نستطيع حفز القوة المقدسة باتجاه أداء الفعل؟ وهل سيكون الفعل إيجابيا؟ عندما ينشأ هذا القلق تنشأ الحاجة إلى الفعل .... ولكن الطقوس ليست كلها تعبيرا عن القلق. رغم ان الطقوس التي تهدئ القلق هي أكثر شدة وإلحاحا.... «وهنا يأتي دور الشامان والكاهن في الهيمنة» ....يمكن القول بأن الكهانة تختصر طريق الصلاة لأنها تهدف إلى المعرفة الفورية لنوايا القوى الروحية ومزاجها, بينما لا تظهر نتائج الصلاة إلا من خلال احداث لاحقة عليها, وهنا تكمن قيمة الكهانة بالنسبة لمن يلجأ إليها, هناك علاقة واضحة بين الشامانيات والكهانة, أي بين إقامة الصلة بين القوى الروحية وبين التبصر فيما خفي ومخبوء في الحاضر أو المستقبل.... وفي سياقات أخرى عندما يكون الكهان لا الشامانات, هم الشخصيات المركزية في الحياة الدينية, تتخذ العرافة مظهرا دينيا, فهي تعتمد على الوحي المقدس أما عن طريق الاتصال المباشر مع الاله, او وسائط روحية كتلك التي آمن بها الاغريق القدماء) (السواح ف.، ٢٠١٧). (٤)

ثانيا- من الاله إلى الانسان.. انتقال فضاء التقديس من السماء الى الأرض.. وبداية حاكمية الدين.. قد يظن من يفكر بطريقة مشوشة وغير عقلانية, ان تطور تقديس الانسان نشأ قبل الثورة الزراعية (النيولوثية) .. أيام الجمع والرعي والالتقاط البدائي للإنسان العاقل؟! ولكن بتتبع حالات التطور لدى هذا الانسان, نراه يقدس الظواهر التي لا يعرف لها تفسيرا, كالبرق والرعد والزلال والبراكين وما شابهها, ولكن الطفرة الأولى في التقديس, بدأت مع اول استملاك للأراضي وبداية زراعتها, فقد شعر الانسان العاقل بأهميته وبأهميته ما يملك وما يحوز, وأيضا شعر بتأثير ومنافسة الانسان الاخر, مما شكل أولى أفكار الازاحة للآخر والتي انتجت فكرة الهيمنة والسيطرة والتسلط, والتي شكلت بواكير الصراع بمعناه وصورته الدموية , والذي صبغ مسيرة الانسان العاقل فيما بعد ,ولكي تضفي على هذه الأفكار القوة والهيمنة, نشأت فكرة تقديس الأغنى والاقوى كنوع من الحق الإلهي في التسلط, وهي أولى بواكير الهيمنة وحاكمية «الإنسان الديني

المقدس» الذي تشكل لدى انسان الزراعة الأول.(فالألوهة والانسان علاقة كرسها العقل المشرقي «المتدين» وفق مجمل التطورات والأفكار..... ولا يمكننا إلا التأكيد على ان الفكر الشرقي تعامل مع الالوهة من مبدأ كيميائي؟. ..... فالالتحام الإنساني - الإلهي متبد بحق منذ أول انبثاق لفكر الالوهة في دماغ الانسان آنذاك حتى ليبدوا ان الانسان استدعى الالوهة الى وليمته ..... واستطاع بعد ذلك خلق عالم الالهة والرموز تلك التي استندت في معظمها إلى الظواهر الطبيعية. وان يمنحها ما شاء من السمو والتجلي والخلق والابتكار ورضى هو بدوره ان يكون عبدا راضخا مخذولا غايته خدمة العالم الإلهي الخالد مقابل فنائه) (خليف، ٢٠١١). بعد هذه الطفرة في التقديس, بدأ الانتقال إلى عصر فجر السلالات الذي شكل بداية تكريس مقولة الحق الإلهي في الحكم والسيطرة من خلال ممثلي ذلك الاله على الأرض.. وقبل الانتقال إلى هذا الفهم سنمر سريعا بنص سومري ترجمه صموئيل كريمر إلى اللغة الإنكليزية وترجمه طه باقر إلى العربية, في كتاب - من الواح سومر- لصموئيل كريمر, يقول هذا النص (بعد أن خلق العالم, وبعد أن تقرر مثير بلاد سومر ومصير مدينة أور» وهي المذكورة في التوراة البابلي باسم أور الكلدانيين».. عين الإلهان «آن» و «أنليل» « وهما أبرز الهين في مجموعة الإلهة السومرية» الاله القمر «ننا» ملكا على مدينة أور. ثم اختار هذا الاله بدوره «أور - نمو» ليحكم بلاد سومر ومدين أور, بصفته نائبا عنه يمثله في الأرض) (كريمر، ١٩٥٦). هذا النص يجلي أمام ابصارنا كيفية بدأ الانتقال من السماء إلى الأرض.. ولفهم هذا الانتقال ينبغي ان نعرف متى انتهى حكم الاله المباشر للإنسان وتدخله المباشر في حياته اليومية, وكيفية هذا الانتقال, وربما ابدع «محمد أبو القاسم حاج حمد في كتابه الحاكمية» بتوصيف هذه السيطرة وأيضا عملية الانتقال , وينقل الباحث هنا كلامه نصا, ورغم طول النص نسبيا الا ان الباحث يرى ضرورة نقله بكامله لاكتمال الصورة المرجوة لهذا المبحث. ففي معرض توصيفه لظاهرة الحاكمية الدينية المترشحة من مقولة الحاكمية الإلهية وهل هي مجرد تشريع؟ يقول لار(تبدو المجادلات حول الحاكمية الإلهية أكثر وضوحا حين يمتد الأمر إلى التشريعات, إذ يرى الجبريون اللاهوتيون أن التشريعات الدينية هي دلالة الحاكمية الإلهية, مقابل حاكمية البشر الوضعية العَلمانية. وهنا يكون الاختصام.! الحقيقة مخالفة لذلك تماما. فحين تكون الحاكمية الإلهية مرتبطة بالتشريع وبالمنطق الجبري اللاهوتي فان الله - سبحانه وتعالى - يعمد إلى أربعة أمور:-

أولا:- ان يتولى بنفسه قيادة المجتمع والمسؤولية المباشرة عنه فلا تكون هناك نيابة عنه ولا أي مؤسسة دستورية او سياسية ولا ملك ولا رئيس ولكن انبياء يأخذون بتعليماته اليومية وينفذونها.

ثانيا:- أن يمارس خوارق العطاء بالهيمنة على الطبيعة والإنسان فينفلق البحر إذا حوصر شعبه, ويظللهم بالغمام اذا ساروا في الصحراء, ويُنزل عليهم المنَ والسلوى, وينبجس الماء من الصخر, فالحاكمية الإلهية تعني السيطرة على الطبيعة أيضا.

ثالثا:- أن يحدد الله لحاكميته أرضا تكون مقدسة بحكم ولايته المباشرة عليها وعلى شعبها, فلا تكون الحاكمية الإلهية إلا في أرض مقدسة.

رابعا:- كل خطيئة مقابلها عقاب صارم وفق شرعة أصر وأغلال, وفي إطار ميثاق وعهد, فالحاكمية الإلهية تكافئ بين عطاء خارق وعقاب صارم). (حمد، ٢٠١٥)

ففي النماذج أعلاه نلاحظ انطباقا للنصوص الدينية في الكتب المقدسة لما يعرف بالديانات التوحيدية أو الإبراهيمية, حول بني إسرائيل وانبيائهم , على الأقل باعتبارهم أول شعب كتب كتابه المقدس في بابل أبان السبي البابلي من قبل الملك نبوخذ نصر. متأثرين بالنصوص السومرية والأكادية ومن ثم البابلية , عن الخليقة ونشوء الكون وحكم الاله وحكم البشر بوصفهم ممثلين ونواب عن الاله.. الخ.., فلا يوجد نص يشابه التوراة تنظيما في اسفارها الخمسة على الأقل قبل هذا التاريخ. فيما نلاحظ ظهور التفسيرات فيما بعد خلال القرون التي لحقت ميلاد عيسى بن مريم. (الماجدي خ.، انبياء سومريون، ٢٠١٨). يستعرض القرآن في بعده التاريخي مجموعة من الأشخاص عُبدوا من قبل شعوبهم, سواء أكانوا أنبياء كما في قصة العزير وعيسى بن مريم, في قوله (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** (٣٠التوبة(. وربما تكون قصة سليمان بن داوود من أكثر المصاديق لانطباق تقديس وتأليه البشر من قبل شعوبهم, كما يسرد علينا القرآن ذلك في قوله.. (**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ** (١٤ سبأ. (٥).. وينتقل الأمر من الأنبياء إلى الرهبان والكهنة, إذ عبدهم شعوبهم, باعتبارهم ممثلين عن الاله والمتكلمين والناطقين والحاكمين باسمه.. كما في قوله (**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ**

سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١ التوبة.

هذا النمط من التأليه والتقديس كان السبب لخضوع الناس بصورة عامة إلى حاكمية البشر, بظنهم أنها حاكمية الاله؟! وسبب بقائهم تحت نير هذا الحاكمية إلى يومنا هذا, وأن كانت بصورة أضعف واقل حدة من تلك القرون الغابرة.

المطلب الثاني:- نشوء الدولة الدينية وبداية هيمنة المؤسسة الدينية....

ربما يجادل البعض , أن ظاهرة الدولة كانت ضرورة لتنظيم حياة المدن الأولى, سيما بعد الثورة الزراعية التي غيرت الحياة البشرية بصورة كبيرة. وهذا الجدل له مصداقية كبيرة إذا عرفنا أن الانسان المنتقل من الرعي والجمع والصيد, بدأ يفكر بطريقة مختلفة سيما بعد أن أصبح مالكا لرقبة الأراضي, وتوسع ثروته وبداية صراع الإزاحة مع الضد النوعي له, أي الإنسان الشريك له في الحياة والوجود, ففكرة نشوء كيان يضبط السلوك العام ويضبط أيضا النزاعات المتولدة من الثورة الزراعية , اصبح أمر لا مفر منه, ولكن كيف تتشكل هذه الدولة وماهي قواعدها وأسسها ومن يديرها؟ وبعبارة أدق كيف تنشأ وكيف تدار؟؟ .

بمطالعة احفوريات سومر باعتبارها أول حضارة عالمية وأول من أسس لدولة المدينة, نستطيع أن نستشف شكل هذه الدولة, وآليات إدارتها ورشحه من قوانينها , ففي العودة لكتاب من ألواح سومر سالف الذكر, ننقل نصا أيضا عن نشوء الحاكمية ضمن دولة المدينة, (وكانت باكورة اعمال هذا الحاكم الجديد ضمان سلامة مدينة أور» المقصود هنا الملك أور – نمو-, المعين من الاله «ننا» إله القمر» وبلاد سومر في النواحي السياسية والعسكرية, فقد شن الحرب على دولة المدينة المجاورة «لجش» التي كانت توسع رقعة سلطانها على حساب مدينة أور, فدحر حاكمها المسمى نمخاني وقتله, ثم استطاع ملك المدينة بقوة الإله «ننا», ان يعيد حدود دولة اور السابقة, ومن ثم التفت إلى الشؤون الداخلية وقام بالإصلاحات الاجتماعية والأخلاقية, فقضى على الغشاشين وعلى المرتشين, ... ثم أوجد نظاما مضبوطا للأوزان والمكاييل.....) الخ النص... (كريمر، ١٩٥٦). بأدنى نظرة لهذا النص سنجد ان مفهوم إزاحة الاخر لغرض التوسع هو سابق على تنظيم شؤون المدينة؟! ومن الملفت للنظر هو كيفية إدارة هذه المدينة بعد انتهاء التوسع الاقليمي , من خلال معاقبة الغشاشين والمحتالين وضبط الموازين والمكاييل ووضع تشريعات ونظم, لذلك عرفت بأنها أقدم شريعة مكتوبة في التاريخ, أي شريعة الملك أور – نمو. فالسؤال هنا هو عن هذه القفزة الهائلة في الوعي, والتي وصلت إلينا كمدونات ما بعد الطوفان , وربما يكون توصيف خزعل الماجدي لهذه القفزة بالمعجزة الأولى غير

مجانب للصواب, فهي معجزة التأسيس ومعجزة الأصول لكل ما جاء بعدها, فما جاء بعدها من حضارات هو تطوير لما صنعه السومريون. (٦) (الماجدي خ.، متون سومر، ١٩٩٨) .

حتى تبرر عملك أيا كان أربطه بالمقدس اللا مرئي وسيطيعك الناس بدون مقاومة, هذا الموضوع ربما يثير حفيظة البعض, باعتباره مساسا بالمقدسات, ولكن الحقيقة أن المقدس هو من صنع نفسه ضمن ظروف معينة, ساعدته على الظهور بقوة, وهيمن على عقول الناس من خلال تخويفهم بالمجهول, فأي خطاب يرتبط بالمقدس السماوي أو الأرضي يثير الخوف عادة في قلوب الناس, فالإنسان عدوا لما يجهل!؟ فإذا اعترض معترض جوبه بأنها إرادة الإله فمن تكون لتعارض إرادته؟!, هذا الخطاب المموه «بروبا غندا»(propa ganda) ذات هالة مقدسة, هو من ساعد المؤسسة الدينية على مر العصور, من السيطرة والهيمنة على عقول الناس, واستغلالهم لبناء صروح المجد والشهرة والثروة,.. ولننقل نصا يتحدث عن سرجون الأكدى أول إمبراطور مسجل في التاريخ ونجله نارام سين, فبعد بنائهم اول امبراطورية في ذلك العهد, يبرران ان عملهم كان بأمر من «أنليل» الإله!! فالدور الذي اداه الدين في بناء هذه الإمبراطورية كان ظاهرا ..(في احدى نقوش سرجون يذكر انه بعد ان انتصر على مدن اور ولجش واوما, ان الاله أنليل لن يجعل له ندا او خصما, واعطاه البحر الأدنى والاعلى, وقلده منصب الحاكم على شعب آكاد..... «اما نارام سين فقد سلك طريقا اكثر قداسة من ابيه» ..... عرف نارام سين بإله آكاد , ولآن آكاد مدينة جديدة, فلم يكن ممكنا لها ان تدعي انها بنيت بيد احد الانوناكي, لأجل ذلك اعلن نارام سين انه اصبح وسيطا بين الارستقراطية المقدسة « الالهة» والبشر التابعين لها). (آرمسترونغ، ٢٠١٦). نلاحظ تطور مفهوم الحاكمية من تقديس الاله إلى تمثيله في الأرض كأقدم صورة لادعاء النبوة والرسالة عرفتها البشرية, فتحول الملوك إلى أنبياء ورسل وممثلين عن السماء, هو تحول دراماتيكي في هذه العلاقة الحساسة, فليس هناك تصور آنذاك عن طبيعة الدين كتجربة روحانية ذاتية, بل وسطاء وعبيد, فالوسيط هو الملك او من يخوله الملك النطق باسمه كالكاهن الأعظم, والناس بمختلف طبقاتهم هم عبيد وتابعون, فهذا التحول كما قلنا رسم الملامح الأولى لظهور مقولات النبوة في التوراة البابلي, والذي حول الملوك إلى أنبياء, وربما يكون هناك أجوبة موضوعية لهذا التحول في كتابات المعاصرين, وكيف تأثر كتبة التوراة بنصوص سومر وأكد وبابل.. (الماجدي ا.، ٢٠١٨) .

وبالانتقال إلى بواكير تأسيس الدولة العربية

– الإسلامية, بعد وفاة النبي محمد, نلاحظ أن أولى الابتكارات السلطوية, ظهرت مع دخول المهاجرين والانصار في نزاع شهير وتاريخي , في سقيفة بني ساعدة في يثرب « المدينة المنورة». هذا النزاع الذي ولد السلطة الدينية في بعدها الإسلامي – العربي, ليفتح الباب على مصراعيه لظهور أولى الدول التي اتخذت من الدين غطاء لها., حينما رأى كبار أصحاب النبي محمد أن النبوة والخلافة لا تجتمع في بيت واحد؟! أو لا تجتمع النبوة والملك في بيت واحد. وللأمانة العلمية ننقل محل الشاهد من النص «ونحيل القارئ إلى المرجع الذي نقلنا منه ليقرأه كاملا». (قال الامام الطبري « محمد بن جرير الطبري» حدثني ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس, قال بينما عمر بن الخطاب وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر..... فقال يأبن عباس» والقائل عمر بن الخطاب» أتدرى ما منع قومكم منهم بعد محمد ؟ فكرهت أن اجيبه. فقلت ان لم اكن أدري فأمير المؤمنين يدريني؟, فقال عمر : كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة. فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاَ.....). (الطبري م.، ٢٠١١).. وقول عمر هنا جاء اثناء خلافته في معرض حديثه مع ابن عباس بن عبد المطلب. أسست هذه المقولة لبداية حقبة الصراع السياسي على الحكم, والذي يعرف اليوم بالإسلام السياسي,. (٧).

وقد انصف الشهرستاني نفسه وانصف الاخرين حينما قال في كتابه الشهير الملل والنحل ما نصه..(واعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة, اذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة في كل زمان) (الشهرستاني ا.، ١٩٩٣). فالنزاع السياسي على السلطة أدى لمقتل عمر بن الخطاب ومن بعده خليفته عثمان بن عفان, ولم يشفع للإمام علي بن ابي طالب, كل محاولاته لراب الصدع, فقتل دون ذلك غيلة, وسمم ابنه الحسن سبط النبي محمد, واختتمت الفاجعة بقتل السبط الثاني للنبي الحسين بن علي واهل بيته واصحابه في واقعة كربلاء الدموية المخزية.؟!

لهالة الوردي في كتابها أخر أيام محمد. وجهة نظر اقرب لتصور الطائفة السنية للحكم والسلطة, فهي ترى أن سبب تأسيس الخلافة هو للحفاظ على الدين الإسلامي بُعيد وفاة النبي محمد مباشرة, كون الدين كان بحالة هشة وربما يزول بزوال المؤثر الرئيس والمؤسس له, أي النبي محمد.! وربما يجادل البعض بأن الفريق الأخر أي الشيعة كانوا أيضا يريدون الحفاظ على الدين من الزوال؟! ولكن الاختلاف فيمن يحافظ على الدين؟ هل هو وصي النبي محمد بحسب الاعتقاد الشيعي أي الامام علي بن ابي طالب؟ أو

هي شورى بين المسلمين؟., باعتبار أن النبي محمد والقرآن لم يحددوا بصورة جلية, ماهية الحكم ولا اسسه ولا شكله ولا أي ذكر له كنظام سياسي لا كدين ؟! تقول هالة الوردي (كان أبو بكر وعمر هما بلا شك أول من أدركا أن وفاة الرسول ما كانت نذيرا بوشوك القيامة, إذ فهما, وعقب بضع ساعات لا غير على قبض محمد, ان نهاية العالم لن تَحل, وادركا ضرورة ان يُعمد مباشرة إلى أرساء مؤسسة سياسية تنوب عنه للحفاظ على الإسلام الذي كان على وشك الزوال, ونعني بهذه المؤسسة الخلافة, لم تكن الفكرة سيئة وبخاصة انه عُمل بمقتضياتها طوال ثلاثة عشر قرن وهي لا تزال تغّذي في أيامنا, وبطريقة صريحة أو ضمنية مخيال المسلمين السياسي). (الوردي، ٢٠٢٥). والنقاش هنا في موضوعة الخلافة والامامة وهل هما من سنخيه واحدة؟ بمعنى وحدة الموضوع واختلاف المسار؟ ام كلاهما مختلفين موضوعا ومسارا؟! في معرض الجواب يرى الباحث أن العودة إلى جذر الاستخلاف الوارد في القرآن وقراءته قد يساهم في حل المشكلة, أو على الأقل يحدد معالم الحل, ففي القرآن وردت مفردة الاستخلاف عدة مرات, ولكن المهم منها هو قصة استخلاف ادم واعتراض الملائكة عليه, ففي قوله : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ البقرة: ٣٠.. فما هي حقيقة الاستخلاف هنا, هل هو استخلاف نوعي يشمل كافة الجنس البشري؟, وعليه يكون موضوعة الحكم بل حتى البنية الاجتماعية والقيمية هي من مختصات الانسان بوصفه يحمل ويستبطن كل مقومات المستخَلف, وبالنتيجة يكون مسؤولا عن خياراته؟؟ او لا, الاستخلاف نوعي بحيث يتدخل الاله في اختيار من يمثله ومن يقوم بمهامه على الأرض؟. وبالتالي ينفذ ارادة الاله الباعث والمرسل على عبيده؟. الجدل ليس بيزنطيا هنا وليس ترفا عقليا, بل هو في صميم الحياة اليومية للناس, فبلحاظ المتغيرات اليومية وسيرورة الانسان, نرى أن الدين أصبح بشكله المؤسسي عاملا جوهريا في السلطة والحكم, بغض النظر عن هذا الدين, أي بغض النظر عن منشأه ومؤيديه.؟ فجوهر الخلاف هنا هو في قراءة الاستخلاف, فحينما يذهب السنة إلى حقيقة الاستخلاف النوعي والذي يفضي إلى الشورى في صورتها البدائية الأولى, لاختيار الحاكم والخليفة, فهي بالتالي وجود دنيوي ليس له أي بعد إلهي او ماورائي., يذهب الشيعة إلى الاستخلاف الشخصي, فالإمامة لها بعدين, ماورائي يتمثل في التعيين بالنص من قبل الاله, ودنيوي يتمثل في إدارة شؤون الناس,

فالإمامة أصلا لدى الشيعة فرعها الخلافة, أي اذا اصبح الامام خليفة كما في نموذج الامام علي بن ابي طالب وابنه الحسن, او لم يقم بمهام الخلافة فهي لا تقدح في امامته مطلقا, بينما تكون الخلافة في المدرسة المقابلة فرع وليس اصل, فالخليفة حاكم دنيوي زمني, سوا كان الاعلم بشؤون الإسلام الدينية او كان محدود المعرفة؟. فالأمر يتعلق بالأليق للحكم لا الاعلم في الدين وشؤونه, كما في مقولة عمر بن الخطاب لابن عباس كما اسلفنا . وهنا تكمن المفارقة, فالصراع في صدر الإسلام لم يبد ظاهريا اول الامر انه يتعلق بالحكم؟! بل ببقاء الإسلام واستمراره؟! ولكنه يستبطن بالضرورة الصراع على السلطة والذي افضى إلى ما نراه الان, وما قرئناه في التاريخ, فأبو بكر وعمر لم يكونا هزليين, بل كان لهما مشروع سياسي أسس للدولة العربية – الإسلامية, التي انتهت شكليا بانتهاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤, واستمرت فكريا وعقائديا وفقهيا وواقعيا. إلى يومنا هذا. (رضا، ٢٠١٢).....ونفس الامر بالنسبة للشيعة, فقد استمرت مقولات الاغتصاب لمقام النبي واقصاء وصيه عن الحكم, عقائديا وفقهيا فقط دون الواقع. فالنظرية الشيعية تطورت في الحكم والسلطة, كما هو في إيران التي يقوم الحكم فيها على أساس ولاية الفقيه المطلقة, والتي هي نيابة عن الامام في غيبته او موته. (الخميني، ١٩٦٩).

نكتفي بهذا القدر لهذا المبحث والذي ناقشنا فيه نشوء الحاكمية الدينية في عرض سريع وعميق لتطور هذه المقولة وتحولاتها وتموضعاتها, في مسيرة البشر, لننتقل إلى نقد الحاكمية ورؤية الباحث بانتهاء وزوال تأثيرها مستقبلا.

المبحث الثاني

الارتقاء والنهاية

حاكمية الإله ام حاكمية الإنسان

جادل احد الزملاء في معرض تباحثنا حول نهاية الحاكمية الدينية, بان هذه المقولة غير واقعية, فالحاكمية متقدمة ونشطة في العديد من البلدان, مثل إيران والفاتيكان, وأيضا موضوعة الخلافة وتموضعاتها الأخيرة, بل وحتى كوريا الشمالية التي تقدس عائلة «أون - سونغ» الحاكمة وتعبرهم آلهة, بحيث جعلت التقويم الزمني بداية ولادة أول طاغية حكمها؟!..وأيضا ما هو البديل الموضوعي لهذه الحاكمية في حال عدم تمددها؟! هذه الأسئلة هي من ضمن مستوعبات هذا البحث, فليس هناك ضد نوعي للدين بوصفه قيمة!. بل الضدية تنبع من تسيس الدين ورفع شعار أنه الحل لكل شيء؟! فالحديث عن ماهية عطاء الدين, أي هل يقدم الدين الحد الأعلى للحاجات اليومية للإنسان؟! أم يقدم الحد الأدنى بوصفه قيمة روحية واخلاقية؟!

درج الكثير من مسلمي القرن العشرين على زج الدين في كل شيء, في محاولة لأسلمة كل شيء, فاستخرجوا آيات من القرآن ولووا عنق النص في محاولة لتظليل الناس, حول القضايا التي ادعوا بأنها علمية, مثل آيات الحمل والولادة وآيات الفلك والنجوم وغيرهما, وفي الحقيقة أن هذه النصوص هي جملة من القضايا التي ادرجها القرآن للدلالة على إلهيته وليس على أنه كتاب علم؟!, (٨). فالقيمة الحقيقة لاي كتاب ديني تكمن في الرشاد والإصلاح, وفي تمكين الناس من عيش حياة روحية مستقرة, وليس من شأنه أن يدرج العلوم في متونه ونصوصه فهذه من مختصات العلوم ومناهجها.! وتخرج أي نص ديني من محتواه وتفرغه تماما.

أ- **المطلب الأول :- هل أسس الأنبياء دولا وممالك دينية** ؟. في هذا المطلب سنناقش النصوص الاصلية التي تشير إلى تأسيس النبي محمد لدولة المدينة, معرضين عن باقي السير للأنبياء الذين أسسوا دولا بحسب النصوص التي دونها معاصروهم, كالنبي داود وابنه سليمان وغيرهما, كون البحث سيخرج عن اطاره السياسي, ضمن فضاء الفلسفة السياسية للحاكمية, ويدخل في بحث تاريخي اجدني الآن بعيدا عنه الا في سياق الحاجة له آنيا.

أولا:- دولة المدينة – يثرب - .

لا ندعي عدم وجود دول وممالك في ذلك العهد! بل هل أسس النبي محمد دولة دينية بالمعنى الحرفي؟! او أسس دولة قوامها العيش المشترك , ضمن بروتوكولات تضمن استمرارية الدين واستمرارية الحياة اليومية؟! كما في النظريات التي تؤسس للدول المدنية الحديثة,؟ قد يجد البعض ان هناك مبالغة في تسمية الدولة او الدول القديمة بالمدنيات, نظير الدول المدنية المعاصرة,! باعتبار ان المفاهيم الفلسفية للدول الحديثة والمعاصرة تأسست في القرون ١٧,١٨,١٩ للميلاد, وليس هناك مفاهيم مستقرة لهذه الدولة آنذاك. بل لا يتصور وجود قواعد للفهم المدني كون التطور المفاهيمي للفلسفة السياسية لتكوين مدنية الدولة كانت لم تولد بعد,! المقصود بالدولة المدنية هنا, هي تلك التي تضع قوانين للحياة اليومية, تتناسب مع المجتمع ومتطلباته وفق نمط الحياة آنذاك, وليس دولة بالمعنى الحرفي الحديث والمعاصر,. فليس هناك أي مجال لإسقاط النمط الحديث للدولة على دول تلك الحقب الزمنية.! بل لا يمكن تصوره بتاتا, لاختلاف العقلية التي بنت الدول آنذاك عن العقلية التي بنت الدول الآن!؟, من حيث التطور المعرفي والذهني للإنسان, وأيضا من حيث متطلبات ونمط حياة المجتمعات, فضلا عن أن تأسيس الدولة

المدنية الحديثة, هي ردة فعل على تحكم الكنيسة والملوك, في حياة الناس وتدخلهم في حيثيات حياتهم اليومية لدرجة الهيمنة والسيطرة والعبودية.! وربما كانت الثورة الفرنسية عام ١٧٩٩كانت الانموذج الاوضح ضد هذه العبودية,. (الشعيبي، كتاب الامة - وثيقة المدينة المضمون والدلالة، ٢٠٠٦).

فالسؤال ما هو شكل الدولة التي أسسها النبي محمد آنذاك, والتي ظلت الأيديولوجية الإسلامية المعاصرة(الإسلام السياسي), يتغنون بها ويحاولون ان يعيدوا بنائها بالدم والنار؟؟ بعد انتهاء وتصفية اخر دول الخلافة (الدولة العثمانية) عام ١٩٢٤م, والتي أعقبت انهيارها الدراماتيكي, عقيب انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى»١٩١٨م», وتصفية كل ولاياتها, وبداية عصر الدولة القطرية, ظهر في مصر شاب أسس لحركة اسماها حركة الاخوان المسلمين, نص دستورها على ان الخلافة «استاذية العالم», فقد شكل انهيار الخلافة عامل احباط وانهيار تام في مقدرات الأمة الاسلامية, واعادتها يكمن في صميم عمل الجماعة, ويجري تدريجيا لاسترادها. (الاسبوع، ٢٠٢٤). هذا الهاجس لا يزال يشكل طرفا اساسيا في ادبيات وفكر الجماعات الراديكالية التي تتبنى مقولة « الاسلام هو الحل» ضمن نوستالجيا مرضية لا تستطيع النهوض بواقع الامة ولا تستطيع الاجابة عن الاسئلة الكبرى التي تطرح على الساحة الفكرية العالمية,. فلا يمكنهم الإجابة عما يقدمه الدين بوصفه قيمة اجتماعية ضمن فضاء الاشياء, فهل يقدم الدين الحد الأعلى من الأشياء أو يقدم الحد الأدنى منها؟! في عالم اصطبغ بمقولات التشييء , فمحاولة استرداد مجد حضارة سادت ثم بادت وفق فضاءات تراثية غير معادة التشكيل, يشكل بحد ذاته عقبة كؤود أمام أي محاولة جدية للنهوض بواقع أمة تجاوز تعدادها المليار وربع المليار إنسان!!؟

وبالعودة إلى سؤال مطلبنا هذه نواجه في بدايته ازمة الوثائق والتوثيق الكتابي في عهد مليء بالشفوية, فما وصلنا من وثائق حول تأسيس النبي محمد لدولة الخلافة او لدولة المدينة, يكاد يكون عرضة للتشكيك سيما مع ظهور دراسات جديدة, تشكك في الكثير مما كتب وتاريخ كتابته ومدى موثوقية ما وصلنا من السيرة النبوية, بل مدى صحتها سيما انها كتبت في القرن الثاني للهجرة بفارق زمني كبير قياسا لتلك الحقب ومتغيراتها السريعة. (شولر، ٢٠١٦). ومع هذا الترديد والشك يبدو أن أفضل طريقة هو التجرد من التضخمات السردية لتلك الحقبة, والنظر لها بعين الموضوعية البعيدة عن شعبوية الفكر والعقل الجمعي الناتج عنه. فبإجابة سؤال إلزامية السيرة النبوية للجميع من عدمه ننطلق

لفهم وثيقة المدينة!؟([٩]).

سمى ابن اسحاق الوثيقة بالكتاب بحسب ما نقله ابن هشام في سيرته, باعتبار ان سيرة ابن اسحاق وهي الأولى مفقودة, وما بين ايدينا هي سيرة ابن هشام, المعتمدة بحسب ما يقول على سيرة ابن اسحاق؟!, فما سينقله الباحث هو بالاعتماد على سيرة ابن هشام وايضا كتاب الامة وهو دورية تصدر في دولة قطر والفارق بينهما , هو في سرد ابن هشام على الطريقة القديمة , وتنقيط اكاديمي في كتاب الامة. (هشام، ٢٠١٩), (الشعيبي، وثيقة المدينة - المضمون والدلالة، ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦).

بتحليل النص الخاص بالوثيقة او الكتاب النبوي, نجد ان الهدف الرئيس هو توحيد صفوف القبائل المتقاتلة فيما بينها, وضمان ايقاف اليهود بما يملكونه من ثروة ونفوذ وقوة عسكرية, عن اثارة النعرات القبلية واذكاء روح العصبية بين القبائل, وتحشيد الناس ضد مشركي شبه الجزيرة العربية, وعلى رأسهم مشركي قريش , العدو الأول للنبي ودينه الجديد, وايضا ضمان نوع من الهدنة ريثما يستقر وضع الدين الجديد.! فأقر النبي ما كان موجود من اعراف قبلية واضاف إليها بعض البنود بوصفه قائدا وليس فقط نبيا, وألحق كل ناس بأحلافهم وضمن لهم عاقلتهم, والمثير في هذا الكتاب – الوثيقة, هو التأسيس لمقولة بلاد الكفر وبلد الاسلام أو الإيمان!؟ فبحسب كتاب الامة فان الادعاء بان هذه الوثيقة اسست للحكم والدولة ولا سيما دولة المواطنة, ولا اعلم أي فكرة اخذها الباحث واسقط مفهوم دولة المواطنة على وثيقة تكفر كل من لا يؤمن بالإسلام دينا؟! وهذه من مشاكل اسلمة المعرفة المنتشرة الان , في محاولة لإسقاط النصوص الدينية على الحياة المدنية الحالية, متناسيا الفارق الزمني والمكاني والتطور الذي شاب العقل البشري, وضمن مقولة (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة) هذه المقولة التي لم تعد تمتلك صلاحية البقاء إلا في فضاء التشريعات التي تخص المؤمنين بها!؟ فبحسب رؤية الباحث, فان هذه الوثيقة تشبه وثائق ملوك سومر واكد وبابل, كشريعة اور – نمو , وحمورابي وغيرهما, والتي تعتبر تشريعاتهم وبنية دولهم اليوم, من اثارنا وتاريخنا العظيم الذي نفتخر به ولكن لا نعمل به, ليس لأنه خطأ بل لانتهاء فعاليته وصلاحيته على التطبيق!, فمحاولة تطبيق وثيقة المدينة كأساس للحكم والدولة هو بمثابة العودة القهرية الجبرية إلى عصر كانت فيه التقانة تقوم على بنية الجمل والقوس, وتقاس الرجولة بقوة السيف وما يكسبه صاحبه في الغزوات ؟! فبالعودة إلى سؤال هذا المطلب « هل اسس النبي محمد دولة دينية او دولة للحياة والعيش المشترك» نجد ان كل

نصوص الكتاب – الوثيقة, تقوم على أسس عصبية قبلية وأسس دينية, تدور ضمن فضاء الاسلام كدين أوحد, مع الاعتراف بالأخر ضمن هذا الفضاء, ورفض كل الكفر بالدين الجديد بل والعقوبة على من تركه او تحزب ضده, وهذه الايديولوجية مفهومة ومبررة في بدايات تأسيس اي دين او ايدولوجية, فهي الضامن لاستمرارها وبقائها, فبينما تضمن الدول الحديثة التقاضي والتحاكم إلى محاكم مختصة بكل دين او شريعة, بغض النظر عن ماهية الدولة وفلسفتها السياسية, نجد ان دولة يثرب تقوم على عكس ذلك تماما, فكل شيء مرتبط بالله ورسوله حصرا, ولا قول يعلو فوقهم مهما كان ومن أي كان؟!.

ثانيا:- دول ما بعد وفاة النبي محمد:-

يعرض الباحث هنا وبسرعة اهم مقومات دولة الخلافة الراشدة وما بعدها, بسؤال افتراضي هو « هل كانت دولة الخلافة الراشدة والتي تلتها أي الاموية والعباسية دولا دينية أي إسلامية النزعة والاخلاق فضلا عن التشريعات»؟؟

بجولان سريع وكنظرة استباقية ننقل مقولة لابن تيمية حول هذه القضية, فهو ينقل عن سلفه من المحدثين في القرنين الثاني والثالث نص قولهم في الخلافة والملك ويعتمدها كأساس في الفتيا, بل ويبني عليها جواز شواب الخلافة بالملك,. (١٠). كما في ملك معاوية, ثم يأتي على ذكر الملك وشروطه, والباحث هنا يأخذ محل الشاهد, كمقدمة لجواب سؤال هذه الفقرة.. ينقل ابن تيمية فيقول.... (١١) (« قال الرسول – ص- خلافة النبوة ثلاثون سنة, ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»)،...» تكون الخلافة ثلاثين سنة ثم تصير ملكا»...وفي الحديث ...» ستكون خلافة نبوة ورحمة, ثم يكون ملك ورحمة, - وهو هنا يقصد خلافة معاوية بن ابي سفيان كما سيوضح لاحق- ,ثم يكون ملك وجبرية, ثم يكون ملك عضوض» ....» ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين خلفاء, وان كانوا ملوكا, ولم يكونوا خلفاء الأنبياء,») (تيمية، ٢٠٠٤). والمثير هنا هو كيفية توظيف النصوص التي نقلت عن النبي محمد, كغيبيات من اشخاص نقلوها بعد وفاته بزهاء القرنين, ليستدل على انها وردت وصدرت عنه آنذاك, لأن من كتبها هم شخصيات لا يرقى إليها الشك؟! كالبخاري ومسلم مثلا, بل الاكثر اثارة هو معرفتنا بنهي عمر بن الخطاب عن كتابة النصوص التي نطق بها النبي محمد حتى لا تختلط مع القرآن, كوسيلة لحفظ الكتاب من الاضافة والتدليس!؟ وهو أمر محير حقيقة, ففي القرآن يرد نص صريح ..)إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: ٩). فكيف يحفظ ما تكفل صاحب النص بحفظه,؟؟! وعلى العموم

فالنصوص توضح ان قضية الخلافة هي امر حدث بعد وفاة النبي محمد, ففي الجدل البيزنطي الذي يمتد لخمسة عشر قرنا, حول الاحق بالخلافة, فاتنا ان نناقش اساس الخلافة, وهل هو اصل نبوي او بشري مستحدث بعد النبي, بحسب حاجة الامة وبحسب حاجة حفظ الدين عليها, ففي حديث سقيفة بني ساعدة والذي مررنا عليه سابقا في بحثنا هذا, نطق عمر بن الخطاب بمقولة (لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت), ! نعم يجادل الشيعة بعكس ذلك إذا يقولون بنص النبي محمد على إمامة علي وخلافته.. (١٢). فبحسب البحوث التي اجراها الباحث, توصل إلى ان مقولة الخلافة هي مستحدثة بعد وفاة النبي محمد, ولا ذكر قبلها إلا في اخبار ونصوص آحاد, وهنا نقول أن الخلافة من فروع الدين وفروض الكفاية بحسب المدرسة السنية, وليست اصلا من اصول الدين, وجزءا من العقيدة كما هي عند الشيعة. (١٣) .. وبالرجوع إلى سؤالنا في هذه الفقرة, من الممكن ان نجيب, ان الدول التي تلت وفاة النبي محمد, وبحسب ابن تيمية, كانت في بعضها خلافة نبوة, وفي اغلبها ملك عضوض وجبرية, مما يعطينا انطباعا بان الدين كان اداة وظفت حسب مصلحة الملوك لا حسب مصلحة الأمة.؟! وهذا الانطباع يعطيني الحق باستنباط ان فكرة الدولة الاسلامية ككل, كانت مبنية على أسس عصبية وقبلية ومصلحية, قبل ان تكون ذات اسس دينية واخلاقية فضلا عن كونها تشريعية قرآنية, وهذا ما اقره ابن خلدون في مقدمته, عند الحديث عن هذه الموضوعة, !!. (خلدون، ٢٠١١)

فدول ما بعد دولة المدينة « إذا استثنيا الراشدة جريا على عادة القوم» هي ملك عضوض, اخذت الدين كوظيفة لها, لا كمنهج كما هي الدعوة آنذاك والآن, ففي اقوى عصور الدولة العربية وارتقائها سلم المجد الحضاري, كان الدين لعقا على ألسنتهم كما وصف الحسين بن علي الجيش الأموي قبل واقعة الطف المأساوية عام ٦١ للهجرة. (روجرسون، ٢٠١٠). هذا الارتقاء كان بسبب الدين وتوظيفه باتجاه الحاكمية كفلسفة للحكم والدولة, وما نوستالجيا (nostalgia) (العودة إلى الماضي) التي اصابت الأمة, إلا رشحه من ذلك الارتقاء وبكاء على مجدٍ ساد ثم باد. ولكن «ولات حين مناص» لقد «قضي الأمر الذي فيه تستفتيان» فلا دولة على غرار المدينة ولا على غرار الامويين والعباسيين, والسبب بسيط جدا, لقد عبر العقل الانساني تلك الحقبة, ولا يمكن العودة إليها لاستحالة العود, بسبب الكم الهائل من التطور الذي شهده العالم, سواء بيولوجيا كبشر او صناعيا وتقنيا كمدنية وحضارة!! وهو ما سوف يناقشه الباحث في المطلب الثاني.

ب- **المطلب الثاني:- نهاية حاكمية الدين بوصفه نظاما مؤسسيا, لا بوصف الدين قيمة عليا..** لا يبدو الموضوع سهلا, بل هو صعب وخطير للغاية, فالباحث يقترب هنا من منطقة حافة الهاوية, ليبرز أن حاكمية الدين بوصفه دينا مؤسسيا, والذي يخضع لسلطة كهنة المؤسسة الدينية قد وصل إلى النهاية, وقد بدأ عصر الافول منذ قرون, وكل محاولات انعاش هذه المؤسسة بآت بالفشل. **والحديث هنا ليس عن حاكمية الدين بوصفه اسلاما سياسيا فقط.** بل نهاية كل شكل من اشكال هذه الحاكمية, وسؤال هذا المطلب هو كيف آلت هذه المؤسسة الكبيرة إلى الانحسار؟ أو بعبارة ادق ماهي اسباب الافول والنهاية؟

أولا:- عدم تجديد الخطاب المؤسسي والاكتفاء بالسرديات التاريخية كمتحول عقائدي لرمزيات عادية.. يكمن خطر المؤسسة الدينية السياسية في عدة تموضعات, اهمها في تحويل السرد التاريخي إلى عقيدة رسمية للحاكمية, فالسير للأنبياء وحواريهم واصحابهم تحولت من سرديات إلى عقيدة,! فلو لاحظنا عدد القديسين في الديانة المسيحية كنمذجة, سنجد ان لكل يوم بل لكل ساعة مناسبة لقديس ما؟ وايضا في الاسلام واليهودية, بل لو اشحنا النظر الى البوذية والزرادشتية , بل كافة الاديان, لوجدنا هذه الموضوعة ظاهرة, بل تعد ركيزة الحاكمية لدى الجميع,. (ف.رولينغ، ٢٠١٧).

ففي سرديات المقدس نرى كيف تحول العادي إلى مقدس, لان نظاما سياسيا رغب بالاستمرار فحول العادي إلى مقدس, بل الاسوء حينما يحول المدنس إلى مقدس , وهو اشد خطورة من الاول. يقول مرسيا الياد في كتابه المقدس والمدنس (يأخذ الانسان علمه عن المقدس لان هذا يظهر , ويبدو كشيء مخالف تماما للدنيوي,..... ويمكن القول ان تاريخ الاديان, ومن اكثرها بدائية إلى احسنها اعدادا, انما هو مشكل بتراكم مقدسات, وبمظاهر وقائع مقدسة.. ومن اكثر التجليات بدائية على سبيل المثال, اظهار المقدس في موضوع ما, حجر او شجرة, حتى التجلي الاعلى الذي هو بالنسبة لمسيحي, تجسد الاله في يسوع المسيح, ولم يوجد حل للاستمرارية, فهو دوما التصرف الغامض ذاته, اظهار لشيء ما من كل اخر ولحقيقة لا تنتمي الى عالمنا, في موضوعات تشكل جزءا لا يتجزأ من عالمنا الطبيعي الدنيوي). (الياد، ١٩٨٨). ففي الجبلة البشرية العادية, يعتبر المقدس ملاذا للاطمئنان والسكينة, فتراه يتوسل به ويرجوه لأي خطب يلم به, بل ولا يأخذ العلم والمعرفة الا منه, بوصفه فوق مستوى البشر ودون مستوى الاله.!؟ وفاته ان المقدس هذا هو من صناعة عقله ومخياله وتعلقه بالطهارة,

في عالم مليء بالعنف والجريمة والظلم. وليس الامر بعيدا في عصرنا هذا, فنشاهد علامات تقديس المدنس والعادي حاضرة في الادب والشعر, يناقش رائد الصبح في كتابه تقديس المدنس في الشعر العربي المعاصر, إشكالية في غاية الاهمية, وهي « توظيف المدنس/ المقدس في خلق المقدس/ المدنس» منمذجا بشعر السياب ودنقل. فيناقش الهاجس الذي يدفع الانسان للتميز, من باب خالف تعرف, وكيف تم هذا التوظيف لارضاءات ذاتية وموضوعية, يحكمها المجتمع الطبيعي والسياسي, في ضوء معيارية تمتد بجذورها إلى الذوات الاولى سواء البدائية منها او تلك التي تطورت بعامل الزمن والحاجة. (الصبح، ٢٠١٧). وبالتوجه للخطاب الديني المؤسسي, فهو يرسخ هذه المفاهيم ويعززها كنوع من الديمومة والاستمرار لوجده, بغض النظر عما يسببه هذا الترسيخ من تشويه بحق الدين الاصلي, الذي وجد بالأساس لخدمة هذا الانسان وترقيته وتطويره لا العكس.؟! فصناعة الجهل هو السمة البارزة في الخطاب المؤسسي, بمفاصل تتطور وابتكارات جهنمية تظهر بين الحين والاخر,! وبما أننا الان نعيش الفترة او الثورة الصناعية الخامسة, اجد ان المجتمع بدأ ينحو اتجاها اخر, فالبحث عن اجوبة الاسئلة الوجودية الكبرى, اصبح هاجسا بشريا وجوديا, لا يغطيه الخطاب التقليدي الهزيل والهزلي, فلم يعد يجدي نفعا, التمائم والطلاسم والادعية المنحولة, في متحولات تسير بسرعة الضوء, افترض ان مجتمعاتنا بدأت تنهض من سباتها الطويل, نحو وجود معرفي جديد يبحث عن اجوبة حقيقة لأسئلة العصر الكبرى. (١٤).

•ثانيا:- سلطة النص ومركزيته :- يدور مفهوم ومقولات الحاكمية الدينية حول النص وجودا وعدما. فالنص له مركزية في الوجود الديني بصورة عامة وفي الحاكمية الدينية بصورة خاصة, ربما تكون محاولة علي عبد الرازق في كتابه (الإسلام واصول الحكم) رائدة, حينما نقد مفهوم الخلافة بوصفه دينيا يدين به الناس, إلى مقولات سياسية بعيدة عن الدين واصوله التشريعية, هذه الانتقالة من كون الحاكمية جزء وفرع الدين, الى كونها ذات بعد سياسي دنيوي محض, احدثت هزة في كيان الامة آنذاك. سيما مع بداية نهاية الحكم الديني بوصفه خلافة, بعد تفكيك الخلافة العثمانية , كأخر معقل للحاكمية الدينية عام ١٩٢٤, على يد كمال اتاتورك. •(الرازق، ١٩٢٥). ومن اهم النصوص التي اسست للحاكمية الدينية هي:

•(سورة يوسف، الآية ٤٠): ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

•(سورة الأنعام، الآية ٦٢): ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾.

•(سورة المائدة، الآية ٥٠): ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

•﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّه) (سورة الأنعام، الآية ٥)

وربما يكون ابو الاعلى المودودي هو اول من رسم ملامح الفكر المعاصر بخصوص الحاكمية الدينية, من خلال تنظيره لها, وتبعه سيد قطب المصري ليكمل المسيرة, بكتابه الذي يعد دستور الجماعات الاسلامية بكل مذاهبها, إلا وهو (معالم في الطريق).ليتحول المفهوم من التحاكم بمعنى التقاضي, إلى الحكم بمعنى السلطة, وهنا عملية دمج للدين في السلطة لتأسيس الدولة الإسلامية, ولكن ضمن مفاصل معرفية جديدة تعيد قراءة النص, لغرض تأويله بما يناسب الايديولوجية السلطوية للحكم, والحجة الرئيسية هو تجهيل المجتمع, بمعنى ان المجتمع جاهلي, ولا بد من اعادة توجيهه نحو سيرة السلف الصالح, وتحقيق حاكمية الله في الارض,. (قطب، ١٩٧٩) في تحول ولوي لعنق النصوص ضمن مفارقات عجيبة, واسقاطات مفاهيمية, اقل ما يقال عنها انها السبب الرئيس في صناعة الارهاب والتطرف لدى الجماعات الراديكالية لينتقل فيما بعد إلى المجتمع ليكون حاضنات ومستودعات لهذه الافكار وحملتها ومروجيها, بوصفها فكرا جديدا يريد اعادة امجاد الامة الاسلامية.؟! يذهب عبد الهادي عبد الرحمن في كتابه سلطة النص إلى أن: (مفهوم سلطة النص مرتبط بكهنوت المؤسسة, وبأشكالها الوظيفية اكثر من ارتباطه بالنص ذاته, لان هذه الاشكال الوظيفية قد عملت على نصوص سابقة وانتجت منها نصوص تلائم ذاتها, ليتحول النص الاول لمجرد اقنوم متحجر لا روح فيه.. هنا يجري استبعاد للنص الذي يتم تحجيره, لتحل مكانه نصوص اخرى, تأخذ قداسته ودوره الاجتماعي, أو بمعنى اشمل دوره الوظيفي داخل عملية واسعة نسميها اعادة انتاج الثقافات السابقة في اطار الرؤية الوظيفية التي فرضتها اللحظة التاريخية). (الرحمن، ١٩٩٨). فالتوظيف الايديولوجي للنص يتلاءم حتما وبالضرورة مع تطلعات ايدولوجية المؤسسة الكهنوتية وبما يتناغم مع تطلعاتها السلطوية, والأمر لا يشكل هاجسا وجوديا لو كانت هذه المؤسسة لا تدعي تمثيل السماء واله السماء, فلو كانت حزبا او حركة وضعية اجتماعية لهان الامر, واصبحت شأنها شأن أي حزب وضعي غايته منذ تأسيسه الوصول إلى السلطة.!؟ فإشكاليتنا مع الحاكمية الدينية, أنها تدعي وتصر على انها تتكلم باسم أله السماء, وتتصرف وفق ارادته وغايته, ضمن فضاء تفسيرها وقراءتها للنص الديني, ووفق اجتهادات شخصية من الممكن لأي شخص متعلم تعليما جيدا ان يأتي بمثلها,

فلو التزمت المؤسسة الكهنوتية بعملها الوعظي والارشادي , وهو عملها الاساسي لأصبح الموضوع عاديا, فالخُلق الديني أمر مطلوب اجتماعيا, كونه يوجه الناس نحو الصلاح والعمل الصالح ؟!. فالمقصود بحسب التفسيرات الاولى للنص القرآني مثلا عند المفسرين الاوائل , كالطبري في تفسيره لأية الحكم (رقم ٥٧ في سورة الانعام), قال ان المعنى هنا التقاضي وليس القصص كما ذهب البعض إليها.. أي الحاكمية بمعنى التقاضي,. بل لم يعني الخوارج في معركة صفين, عندما طالبوا الامام بالاحتكام الى كتاب الله سواء هذا المعنى, ولم يرد النبي محمد في وثيقته الشهيرة بكتاب المدينة, بالرجوع اليه سواء التقاضي لحل النزاعات, لا تأسيس أيدولوجية سياسية حاكمة.؟! (الطبري ا،، ١٩٥١). وربما تكون في دعوى علماء ومفكرين مثل السيد كمال الحيدري والدكتور محمد شحرور والدكتور عبد الكريم سروش وغيرهم, ضمن ابحاثهم العالية, بداية جديدة لعصر اعادة قراءة النص ضمن مفاهيم تأويلية جديدة, بعيدة عن مدرسة الشافعي والمرتضى والمفيد والطوسي وابن تيمية ونظرائهم!؟ التحول نحو قرآنية الدين من روايات المحدثين , تلك المنظومة التي اقل ما يقال عنها, انها صنعت دينا جديدا لا علاقة له بدين النبي محمد, وربما احسن عمر بن الخطاب بمنعه التدوين, رغم الانتقادات التي طالت قراره, وان كان في زمن قد رأى فيه ان تدوين احاديث النبي سيكون ضدا نوعيا للقرآن, وبالتالي يترك الناس القرآن مهجورا..

الفرضية البديلة كخاتمة وتوصيات لهذا البحث.....

مما سلف استطيع ان اقدم فرضية ربما تكون حلا عمليا لمشكلة الاسلام السياسي, فأيديولوجية الحاكمية بدأت بالأفول, سيما مع المتغيرات الجيوسياسية الاخيرة التي برزت في منطقتنا, أي منطقة الشرق الاوسط, بدأ من مصر ومرورا بسوريا فلبنان ومن ثم إيران لتختم بالعراق. فسقوط الاخوان في مصر وانتهاء عهدهم, وتوصيفهم كجماعات ارهابية, إضافة إلى ما مر به الشرق الاوسط, من خطورة وتدمير هائل, بدأ مع هجوم منظمة حماس على الكيان الاسرائيلي, وليس انتهاء بحرب ١٢ يوما, بل تشير المتغيرات السريعة, إلى نهاية هذه الايديولوجية, وهي كغيرها من الايدولوجيات, لا يعني نهايتها انتهاء تراثها الفكري او وجود من يؤمن بها,!؟ بل اقصد نهاية تأثيرها, نظير نهاية الشيوعية كقوة مهيمنة على العالم, بانتهاء اسطورة الاتحاد السوفياتي, وربما يجادل البعض بالفراغ الذي سوف تتركه هذه الايديولوجية, فيحال زوال تأثيرها؟! وهو جدل يمكن فهمه في سياق التأثير الكبير

لهذه الايدولوجية, ولكن لا يمكن تبريره, فأساس النجاح الذي حققته في إيران بعد الثورة عام ١٩٧٩, وفي مصر بعد الثورة أيضا عام ٢٠١١م, لا يعني انها سادت كأطروحة عالمية تؤسس لاتحادات كالاتحاد السوفياتي او الاوروبي مثلا؟! بل هي كينونات حاولت تشكيل محاور من خلال حلفاء في مناطق تؤمن وتعتقد بأطروحة الحاكمية, سواء في بعدها الولايتي او الاخواني او الداعشي!, بلحاظ وحدة الموضوع بينهم, واختلاف التنفيذ واتفاقية الهدف بين الجميع.

كنقطة انطلاق للفرضية ينبغي ان نرى ما هو المجتمع الذي نريد تطبيقها عليه؟! في حالة الشعب العراقي بكل تعقيداته ينبغي ان نكون على جانب كبير من الحذر, فاخطر النمور واشرسها هو النمر الجريح, فبعد الاصابات التي لحقت بالمؤسسة وتفرعاتها, يكون أي حل مقدم رغم نزاهته محل اتهام وريبة, فالمجتمع العراقي يعاني من انقسامات وانهزامات ذاتية, شكلت اغتراب هوياتي حقيقي له, فاغلب الناس تريد الدين وتعشق طقوسه, بغض النظر عن كون هذا العاشق مؤمنا بالدين او مقلدا او سائر مع القطيع, فاقتراح تغيير شكل المجتمع لا النظام السياسي , سيصطدم بواقع خطير وهو بقايا الولاء للحاكمية, فلسنا على استعداد لإعادة تاريخ انتهاء الخلافة, وما رافقه من تداعيات خطيرة افضى الى تشكل الجماعات الراديكالية وعلى راسها الاخوان المسلمين.! فالتدرج في صياغة الافكار وتحويلها الى ثقافة ومنهج يحتاج الى وقت, ولكني على ثقة بتحقق هذا التحول نحو دولة المواطنة, وليست سلطة الدولة,.

وبالمجمل فالخطوات الاولى للتغير تكمن في:-

١-فهم ان النظام السياسي العراقي في واقعه الحالي هو خير من يمثل فسيفساء النسيج العراقي, نعم سوء تطبيقه لا يعني انه غير ناجع؟! بل العكس صحيح لذا اوليات التثقيف هي في استعادة زمام المبادرة لإنجاح المشروع السياسي العراقي.

٢-تفكيك البنى المعرفية للحاكمية بكونها ممثلة للدين, وتوضيح انها ايدلوجية صناعية وليست الهية , فلاحق الهي في أي مكان, والناس سواسية كأسنان المشط.

٣-تفكيك المقدس وبيان انه عادي شأنه شأن أي انسان, ليس له افضلية في الاشياء دون غيره.

٤-العودة للنصوص الاصلية وقراءتها في فضاء المعاصرة بدون اسقاطات نستولوجية.

٥-الفصل التام بين المجتمع وعقيدته وطقوسه وفعالياته, وبين الدولة وعملها.

٦-التثقيف بمكانة الدين في المجتمع, بوصفه هاديا وروحانيا لا سلطويا, فلا سلطة لاحد غير الامة.

٧-ارى ان كلما نراه الان سيزول تدريجيا ليرجع الدين الى روحانيته الاولى.

الخاتمة.....

وفي ختام البحث , لا ادعي الكمال وانما ادعي تقديم رؤية مغايرة, ورغم تأخر البحث لأكثر من عامين, فهو بسبب صعوبة ووعورة المادة المقدمة وخطورتها, فهي تمس مؤسسة الحاكمية , وهي تمثل عمق ايدلوجيا لكثير من الموالين والاتباع, فربما يعتقد بعضهم بانها مؤامرة ايضا, على ديدن الفكر الايديولوجي اينما وجد, ولكن المتغيرات المتسارعة هي من يحكم ويتحكم بالوضع عموما, ولا مفر مما تأخر لقرون, فالتغيير قادم لا محالة.

الهوامش:

١- احتكار الحقانية. مصطلح نحته الباحث, ويعني به انفراد قراءة واحد للدين أو لمبدأ ما ومحاكمة القراءات الأخرى في فضاء هذه القراءة.

٢- رواية نقلت على لسان النبي محمد تفيد بأن اليهود والمسيحين والمسلمين انقسموا, وسوف ينقسم المسلمون إلى فرق نظير انقسام اليهود والمسحيين, وأن هذه الفرق كلها في النار خلا فرقة واحدة هي الناجية. عرف فيما بعد بحديث الفرقة الناجية وهو حديث موضوع على النبي محمد وبعرضه على القاعدة سوف يصطدم مع نصوص قرآنية كثيرة ربما ابرزها الآية ١٣ من سورة الحجرات.

٣- الولايتي او الولائي مشتق من ولاية الفقيه و الخلافوي مشتق من الخلافة. الباحث.

٤- للتوضيح (**لجأ الباحث إلى هذا الهامش الناطق لتلافي التشويش على المتلقي والقارئ في المتن)...** الشامان و الشامانية. الكاهن والكهانة..... الشامانية ليست ديانة بل شبكة من الطقوس والمعتقدات المختلفة التي تحيط بنشاطات الشامان المرتبطة بأنظمة دينية شديدة الاختلاف.. وتوجد الشامانية بتقنية خاصة لتحقيق الوجد الذي بواسطته يدخل الشامان حالة متبدلة من الوعي..(تشبه حالة غشيان الوحي للأنبياء – الباحث) اما الكاهن والكهانة...فيمكن القول ان الكهانة تختصر طريقة الصلاة لأنها تهدف إلى المعرفة الفورية للنوايا القوى الروحية ومزاجها (بمثابة الوحي – الباحث) بينما لا تظهر نتائج الصلاة الا من خلال احداث لاحقة عليها , وهنا تكمن قيمة الكهانة بالنسبة لمن يلجأ إليها... اما عن العلاقة بين الشامان والكاهن وبين الشامانية والكهانة .... فهنالك علاقة واضحة

بين الشامانيات والكهانة, أي علاقة إقامة الصلة بين القوى الروحية وبين التبصر فيما هو خفي ومخبوء في الحاضر او المستقبل مثل التبصر يأتي من خلال طقوس عرافة محددة... وهنا تأتي مركزية هذان في الحياة اليومية. (ومن هنا تأتي قوة هذان وتأثيرهم في الحياة اليومية بما يتوافران عليه «وهما» من قوى , وهو ما سنلاحظه اثناء البحث من خلال استمرارية هذه الظواهر واثرها في تشكيل حاكمية الدين والحق الإلهي في الحكم والسلطة.. الباحث) ينظر... (السواح ف.، ٢٠١٧)

٥- للتوضيح. في السرديات اليهودية والمسيحية يعتبر كلا من داوود وسليمان ملكان لا نبيان كما في الرواية القرآنية. إذ تعتبر أن داوود وسليمان نبيان وملكان. (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)١٥ - النمل..(وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥ الاسراء. الباحث.....

٦- النص أعلاه اختزله وتصرف به الباحث مراعاة للاختصار.

٧- للتوضيح:- ربما يجادل البعض بعدم تعرضنا للصراع المسيحي على السلطة مع الرومان؟! فالجواب ان أصل النزاع لا يتعلق بمكان أو شكل المتصارعين بل بالمبدأ الذي نشأ عليه ومنه الصراع ؟! وهو واحد في نظر الباحث, أي أن أساس الصراع هو السلطة واحتكار الحقانية» هذا مصطلح من نحت الباحث واعني به ادعاء الحق وحصره في جماعة او جهة معينة وتظليل وتكفير الاخر» من كل طرف لنفسها, مما شكل إزاحة للأخر تمظهرت في قتال وصراع ودماء غطت صفحات التاريخ البيضاء للحضارة الإسلامية. الباحث

٨- للتوضيح: لا يسع المجال في هذا البحث لمناقشة مقولات إلهية القرآن أو بشريته وما فيها من جدل ونقاشات محتدمة, وماهي تأثيرات المحيط الديني والاجتماعي الذي عاش فيه الأنبياء والرسل أصحاب الكتب, فمرور الباحث هنا عرضي لتتمة البحث. الباحث.

٩- يفهم الباحث ان السيرة النبوية لها تأثير كبير في حياة المؤمنين إذ يعتبرونها نبراسا للعمل وللحياة اليومية, سيما وأن النبي محمد أحدث ثورة جذرية في الكثير من المفاهيم السائدة آنذاك في جغرافيته, وانشئ أمة قوية بنت حضارة لم يكن في الحسبان ان تبنى!! بل انفسهم أي المسلمون الاوائل لم يتوقعوا ذلك إلا النزر اليسير منهم, ولكن ليس كل السيرة منقاه وصحيحة, فوفق المدرسة الشيعية الامامية ان النبي محمد معصوم منذ النشأة الأولى إلى منتهى الحياة الدنيا, وفي كل شيء حتى همساته وخلجاته, بينما يرى الاخرون أن النبي محمد معصوم فقط في التبليغ وفي غيره فهو بشر يجري عليه ما يجري على البشر مثله, (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا) (٩٣) الاسراء. فمن هنا إذا اعتقدنا بما يعتقد به الامامية فالسيرة ليست نقية؟! واذا امنا به كما امن الاخرون فالسيرة صحيحة بنسبة كبيرة. والرأي عند الباحث ان نأخذ ما توافق مع قرآن النبي محمد وندع غيره, كحل وسط بين قبول السيرة ككل او رفضها ككل. ولاستنارة حول هذا الموضوع وان النقل الشفاهي هو المعتمد ينظر(الشفوية لغريغور شولر) وهو احد مصادر هذه الدراسة , وأيضا مقدمة تحقيق سيرة ابن هشام

الصفحة٦ تحت عنوان التاريخ عند العرب, تحقيق مصطفى السقاس طبعة ٢٠١٩م, وهي ايضا احدى مراجع هذه الدراسة.. الباحث..

١٠- مفردة شواب التي وردت اعلاه هي بمعنى اختلاط الخلافة بالملك وهي مفردة استخدمها الكتاب القدماء للدلالة على الاختلاط بمعنى المزج لا بمعنى الشوائب. لذا اقتضى التوضيح. الباحث

١١- من الاسباب الرئيسة لاستخدام الباحث لابن تيمية هو دوران الفتيا والفكر والنظر في عصورنا هذه عليه لما يشكل عند الإسلاميين من كاريزما هائلة أسست لكل الفكر المتطرف وغير المتطرف الذي نشاهده الآن.

١٢- تخلصا من الجدل نحيل القارئ والباحث إلى كتاب السيد كمال الحيدري, والمعنون مدخل إلى الامامة, وايضا كتاب الشيخ مرتض مطهري المعنون الامامة, ومن المراجع القديمة كتاب الشافي في الامامة للشريف المرتضى, والذي كتبه ردا على كتاب القاضي عبد الجبار المعتزلي حول الامامة آنذاك.

١٣- ممكن الرجوع إلى ما كتبه الباحث في رسالته للماجستير والمعنونة. الدولة في الفكر العربي المعاصر- الميرزا النائيني نموذجا والتي نوقشت وخرجت من كلية الآداب جامعة الكوفة عام ٢٠٠٩, وايضا كتاب الباحث المعنون. الاسس الفلسفية لنظرية الدولة دراسة مقارنة والذي صدر عن دار التميمي في النجف عام ٢٠١٠م.

١٤- حتى لا يطول البحث احيل القارئ والباحث إلى مجموعة دراسات, تهتم بالأسئلة والاجوبة الكبرى, مثل. الدين والظمأ الانطولوجي, لعبد الجبار الرفاعي, بنية العقل العربي, لمحمد عابد الجابري, النص , السلطة, الحقيقة, لنصر حامد ابو زيد ..قضايا في نقد العقل الديني لمحمد اركون. علما ان اغلب هذه المصادر استخدمت في هذه الدراسة.

كشف بمصادر ومراجع الدراسة:-

١-ابن تيمية - احمد بن تيمية. (٢٠٠٤). مجموع فتاوى شيخ الاسلام. العربية السعودية - المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢-ابو جعفر محمد بن جرير الطبري. (١٩٥١). جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تفسير الطبري. القاهرة - مصر: مكتبة ابن تيمية.

٣-ابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. (١٩٧٢). الملل والنحل. لبنان - بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

٤-أبي المظفر شاهفور بن طاهر الاسفرائيني. (٢٠١٠). الهالكين التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن. مصر, القاهرة: المكتبة الازهرية للتراث.

٥-ابي محمد بن عبد الملك بن هشام - ابن هشام. (٢٠١٩). السيرة النبوية (المجلد الخامسة). (ابراهيم الابياري,عبد الحفيظ شلبي مصطفى السقا, المحرر) سوريا - دمشق , بيروت - لبنان: دار ابن كثير.

٦-احمد قائد الشعيبي. (٢٠٠٥ - ٢٠٠٦). كتاب الأمة. الدوحة -قطر: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية - قطر.

٧-الشهرستاني محمد بن عبد الكريم ابي بكر احمد الشهرستاني. (١٩٩٣). الملل والنحل (المجلد الثالثة). بيروت - لبنان: دار المعرفة.

٨-برنابي روجرسون. (٢٠١٠). ورثة محمد. (عبد المعطي محمد بيومي عبد الرحمن عبد الله

الشيخ، المترجمون) مصر - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٩-بشار خليف. (٢٠١١). نشوء فكرة الالوهة. سوريا - دمشق: الاهالي للطباعة والنشر.
١٠-خزعل الماجدي. (١٩٩٧). اديان ومعتقدات ماقبل التاريخ. الاردن - عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
١١-خزعل الماجدي. (١٩٩٨). متون سومر. عمان - الاردن: الاهلية للنشر والتوزيع.
١٢-خزعل الماجدي. (٢٠١٨). انبياء سومريون. الدار البيضاء - المغرب: المركز الثقافي للكتاب.
١٣-د.ادزار - م.هـ. بوب - ف.رولينغ. (٢٠١٧). قاموس الاللهة والاساطير. (محمد وحيد خياط، المترجمون) سورية - حلب , بيروت . لبنان: دار الشرق العربي.
١٤-رائد الصبح. (٢٠١٧). تقديس المدنس في الشعر العربي المعاصر. المغرب - الدار البيضاء. بيروت - لبنان: المركز الثقافي للكتاب - الدار البيضاء.
١٥-روح الله الخميني. (١٩٦٩). الحكومة الاسلامية. النجف - العراق: مركز نشر تراث الامام الخميني - طهران - ايران.
١٦-سيد قطب. (١٩٧٩). معالم في الطريق. بيروت - لبنان, مصر - القاهرة: دار الشروق.
١٧-صاموئيل كريمر. (١٩٥٦). من الواح سومر. (طه باقر، المترجمون) بغداد - العراق . القاهرة - مصر: مكتبة المثنى - بغداد . مؤسسة الخانجي - مصر.
١٨-صاموئيل هنتنغتون. (١٩٩٩). صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد. ليبيا: صلاح قنصوة, طلعت الشايب.
١٩-عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون. (٢٠١١). مقدمة ابن خلدون. بيروت - صيدا- لبنان: شركة ابناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٠-عبد الهادي عبد الرحمن. (١٩٩٨). سلطة النص. لندن - بيروت - القاهرة: سينا للنشر - الانتشار العربي.
٢١-علي عبد الرازق. (١٩٢٥). الاسلام واصول الحكم (المجلد الثانية). مصر - القاهرة: مطبعة مصر.
٢٢-غريغور شولر. (٢٠١٦). الكتابة والشفوية في بدايات الاسلام. (رشيد بازي، المترجمون) بيروت - لبنان - الدار البيضاء - المغرب: المركز الثقافي للكتاب.
٢٣-فراس السواح. (٢٠١٧). موسوعة تاريخ الاديان (المجلد الطبعة الرابعة). (غادة جاويش واخرون، المترجمون) سوريا - دمشق: دار تكوين للتاليف والترجمة والنشر.
٢٤-كارين آرمسترونغ. (٢٠١٦). حقول الدم - الدين وتاريخ العنف. (اسامة غاوجي، المترجمون) بيروت - لبنان: الشبكة العربية للابحاث والنشر.
٢٥-مجموعة باحثين. (٢٠١٧). الارهاب محاولة اخرى لتشريح الظاهرة. بغداد: مركز العراق للدراسات الاستراتيجية.
٢٦-محمد ابو القاسم حاج حمد. (٢٠١٥). الحاكمية. بيروت - لبنان: دار الجمل.
٢٧-محمد بن جرير الطبري. (٢٠١١). تاريخ الامم والملوك (المجلدات ج -٢). بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.
٢٨-محمد رشيد رضا. (٢٠١٢). الخلافة. القاهرة - مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
٢٩-مرسيا الياد. (١٩٨٨). المقدس والمدنس. (عبد الهادي عباس المحامي، المترجمون) سوريا - دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٠-موقع الجماعة رسالة الاسبوع. (٨ ٨, ٢٠٢٤). *https://ikhwan.site/p*-٢٢٢٩٧٦. تاريخ الاسترداد ٢٣ ١٢, ٢٠٢٥، من https://ikhwan. site/p-٢٢٢٩٧٦: https://ikhwan.site/p-٢٢٢٩٧٦

٣١-هالة الوردي. (٢٠٢٥). اخر ايام محمد. (نضال حمدان، المترجمون) الشارقة - الامارات العربية المتحدة: منشورات الجمل.

٣٢-وليد فكري. (٢٠١٨). اساطير مقدسة - اساطير الاولين في تراث المسلمين. مصر - القاهرة: الرواق للنشر والتوزيع.

٣٣-يوفال نوح هراري. (٢٠١٤). العاقل. الامارات العربية المتحدة - ابو ظبي: دار منجول للنشر - الهند -نيودلهي.